

الأسس المعرفية للتصوف الاسلامي عند محمد بن بريكة

"The Epistemological Foundations of Islamic Sufism According to Mohammad bn brika"

عبد الحميد مرزوقي^{1*}، بنمزهود شهناز²

¹مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الإعلام والاتصال جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)

merzougui.abdelhamid@univ-guelma.dz

²مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الإعلام والاتصال جامعة 8 ماي 1945 قالمة(الجزائر)

benmezhoud.chahinez@univ-guelma.dz

تاريخ القبول:2024/11/12

تاريخ الإرسال: 2024/02/17

ملخص:

إن الحديث عن الفكر الجزائري المعاصر يقودنا إلى الحديث عن أبرز المفكرين في عصرنا والتوجه نحو انتاجهم المعرفي ، وهو ما يحيلنا مباشرة إلى الحديث عن المفكر الجزائري محمد بن بريكة وإلى رصيده المعرفي المرتبط أساسا بالفكر الصوفي والثقافة العرفانية والذي يعتبر فيها التزكية الإنسانية إحدى الموضوعات الأساسية له، مركزا على البعد الأكاديمي تأليفا وكتابة، من خلال الأسس المعرفية التي ضبطها هذا المفكر الفذ عبر مؤلفاته المتنوعة والتي سنحاول أن نعرض ولو جزءا منها بالتحليل والشرح في هذه الدراسة البحثية التي ركزت على الأسس المعرفية المعاصرة للتصوف الإسلامي انطلاقا من الجانب النظري من خلال محاولة تبسيط ماهية التصوف وشرح أسسه التي يركز عليها، وصولا إلى أركان الممارسة الفعلية للتصوف من خلال التطبيق الفعلي له عن طريق مدارس تربوية متعددة سميت تاريخيا بالطرق الصوفية. كلمات مفتاحية: فكر صوفي؛ ثقافة عرفانية؛ فكر جزائري.

Abstract

Discussing contemporary Algerian thought leads us to talk about the prominent intellectuals of our era. This promptly leads us to discuss the Algerian thinker, Mohamed Ben Brika, primarily associated with Sufi thought and mystical culture. In this context, he considers human purification as one of his fundamental themes, emphasizing the academic dimension of authorship through his diverse works.

The study examines Ben Brika's works, focusing on the intellectual and practical foundations of Islamic Sufism, including its principles and application in historical Sufi paths.

Keywords: Sufi thought; Cultural mysticism; Algerian thought.

مقدمة

إن الحديث عن الراحل محمد بن بريكة هو حديث عن شخصية مركبة تختص بمجالات إنسانية متعددة، فهي مزيج بين الفيلسوف والصوفي والأديب، ذلك أن المفكر نهل من كل هذه المجالات المعرفية الأمر الذي مزج عطاءه المعرفي، مترجما هذا العطاء في عدة نشاطات فكرية تراوحت بين التأليف والتدريس والإعلام.

ولأن عالمنا المعاصر يعاني أزمة قيمية حادة، فقد اختار المفكر محمد بن بريكة الاهتمام بمجال التربية وترقية القيم لدى الإنسان، إذ جاءت أغلب مؤلفات الراحل في التصوف الإسلامي والذي يعتبر التزكية الإنسانية موضوعا له، مركزا على التأليف الأكاديمي فيه مهتما بالكتابة منطلقا من مقولة لطالما ردها على مسامع تلاميذه مفادها أنه "عن قريب يدركه الهرم والمجيب ويعجز عن تحريك الأصابع بالكتابة، وتخونك الباصرة فلا تتبين الحروف والكلمات والسطور، وتنقضي عنك الذاكرة فلا تدري السؤال من الإجابة، لا أحداث الغابر من الحديث من العصور وتلك سنة الخلق ماضية..".

أما عن سبب اهتمامه بالتصوف الإسلامي فيقول المرحوم بن بريكة عن ذلك قائلا: "إن اهتمامي بالتصوف الإسلامي يعود إلى سنين مبكرة من حياتي، فقد كان لمحيطي العائلي دور في ذلك"، فالبيئة التي ترعرع فيها المفكر كانت الشرارة الأولى التي نهته إلى هذا اللون من المعرفة والتي أخذها فيما بعد سبيلا للبحث والاجتهاد منتجا بذلك مدخلا جديدا لعلم التصوف الإسلامي يستند عليه الباحثين في هذا المجال في الجزائر وخارجها.

قد لا نجد اختلافا كبيرا داخل السياقات المعرفية العربية والإسلامية سواء الكلاسيكية أو المعاصرة على أن موضوع التصوف الإسلامي من المواضيع المهمة في عالم المعرفة، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالإنسان المتدين من خلال ذاك البعد المهم والذي يتعلق بالشق القيمي الأخلاقي، لذا فقد أُلّف في مجال التصوف الكثير من المؤلفات التي تعنى بهذا الموضوع تنظيرا وتحليلا، فرغم تأخير عملية التدوين في هذا الحقل المعرفي نظرا لعدة معطيات معرفية تارة مرتبطة بذات الإنسان وتاريخية تارة أخرى تتعلق بالأحداث السياسية التي ميزت التاريخ الإسلامي والتي يمكن الرجوع إليها في أبحاث مستقلة، فمن خلال المدونات الصوفية والتي كتبها الأعلام يمكننا تصنيف جملة من هذه المدونات باعتبارها أمهات الكتب التي يرجع إليها كل مشغل على التصوف الإسلامي، هذه المصادر المعرفية أحالت المفكر بن بريكة إلى ضبط جملة من الأسس المعرفية النظرية والتطبيقية للتصوف الإسلامي، هذه الأسس الاستيمية تحتاج إلى تفصيل من خلال تسليط الضوء على كل المرتكزات المشكلة لتبلور علم التصوف من منظر محمد بن بريكة.

2- محمد بن بركة كمفكر:

يعتبر محمد بن بركة البوزيدي الحسني واحدا من أكثر المفكرين الجزائريين إنتاجا في العقد الأخير من الزمن خاصة في مجال التصوف والعرفان حيث لا يمكن الإحاطة ببحث في مجال التصوف والطرق الصوفية سواء في الجزائر أو في العالم الإسلامي دون المرور على إنتاجات الراحل المختلفة باعتباره مس جميع مجالات العرفان المعاصر، وكالتفاتة إلى سيرة المفكر محمد بن بركة نجد أنه من مواليد عام 1958م بمدينة الدوسن ولاية بسكرة، كانت بداياته التعليمية بطريقة تقليدية ككل الجزائريين آنذاك حيث حفظ القرآن كاملا وعمره لم يتجاوز الحادي عشر سنة، كما اهتم بالأدب حيث حفظ والمتون المختلفة على غرار متن ابن عاشر وهو في سن مبكرة بمسقط رأسه ثم حفظ قصائد عنترة بن شداد والتي كانت تصعب على البالغين فضلا عن هم أصغرا الأمر الذي ولد لديه فصاحة لغوية منذ الصغر، ثم انتقل المرحوم إلى مزاولة دراسته بالشكل التعليمي المعاصر.

إذ أتم تعليمه الابتدائي ثم الأساسي فالثانوي بتفوق حيث لم يرسب في امتحان قط، لينتقل إلى العاصمة الجزائر لإكمال تعليمه حيث حصل على شهادة البكالوريوس (الإجازة) متخصصا في التصوف برسالة عنوانها "المشكلات المعرفية بين السهروردي وابن عربي"، ونظرا لتفوقه الكبير وتميزه بين أقرانه سافر بن بركة إلى بريطانيا لمواصلة دراسته هناك، غير أن اختلاف البيئة البريطانية عن البيئة التي نشأ بها جعلته يعود أدرجه إلى الجزائر حيث أكمل المرحوم دراسته للحصول على شهادة الماجستير في نفس التخصص ثم دكتوراه الدولة في التصوف الإسلامي بأطروحة حملت عنوان "إشكالية المنهج والمصطلح في التصوف الإسلامي" حيث نالت الأطروحة التقدير الأعلى مع تهادي اللجنة وتوصيتها بطبع العمل المنجز، ليحصل بعدها على أعلى درجة علمية بالجزائر وهي رتبة أستاذ دكتور (بروفيسور).

يقول المرحوم على اختياره لمجال التصوف "لقد آليت على نفسي الغرف من أمهات كتب التصوف فهلت منها ومازلت فما نفذ الشراب وما رويت، ولا يكاد يوجد كتاب معتمد في هذا الفن إلا واطلعت عليه ونهلت منه وجعلت تحصيله بغيتي والعثور عليه منيتي" (بركة، 2006، صفحة 01) ليعين كأصغر أستاذ في تاريخ الجامعة الجزائرية بجامعة الجزائر وسنه اثنين وعشرين سنة، حيث شغل كرسي التصوف بقسم الدراسات العليا بجامعة الجزائر متنقلا بين كليتي العلوم الإسلامية بخروبة وبين كلية العلوم الإنسانية قسم الفلسفة ببوزريعة، يقول البروفيسور الجزائري محمد نور الدين جباب عنه أنه "ذات يوم وبأحد في أحد الملتقيات المنظمة في المكتبة الوطنية من طرف قسم الفلسفة بجامعة الجزائر سنة 2007، قدم أحد الشباب مداخله مرتجلة كليا لأنه لم يحمل ورقة في يده أو دفترًا، الأمر الذي فاجأ المفكرة المصرية المعروفة يمني طريف الخولي والتي كانت ضيفة الملتقى، فراحَت المفكرة المصرية تسأل عن هوية هذا الشاب الفصيح ظنا منها انه

ليس جزائري، وقد كانت دهشتها كبيرة لما عرفت أنه جزائري وازدادت دهشتها لما عرفت أنه أصيل الجامعة الجزائرية وان تكوينه المعرفي كان في الجزائر لتختم دهشتها بعبارة شهد عليها كل من كان حاضرا قائلة: إن هذا الشاب ظاهرة حقا هذا الشاب الفصيح لم يكن إلا المرحوم محمد بن بركة. كتب المفكر محمد بن بركة العديد من الكتب التي تعنى بعلم التصوف شرحا وتحليلا، فكتب "موسوعة الطرق الصوفية" في ستة عشر جزءا، و"الكتاب الكبير في الثناء على النبي البشير" وكذا كتاب "التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان"، وسلسلة "جمهرة الأعمال الصوفية" في سبع مجلدات ثم سلسلة "الإتحاف بمنازل الأشراف" في ثلاث أجزاء والعديد من العناوين التي تصل إلى ثلاثين مؤلفا.

تأثر الدكتور محمد بن بركة سلوكيا في البدء بالطريقة القادرية، حيث كان يتحين أي فرصة للسفر إلى مدينة أدرار بالجنوب الجزائري حيث يجلس متعلما بيني يدي شيخ الطريقة القادرية بالجزائر سيدي محمد بلكبكر رحمه الله، هذا الأخير حف المفكر بن بركة بوافر العناية لما رأى فيه من عزم على العلم ودمائة الأخلاق.

كما كان للحضور الإعلامي حيزا واسعا في نشاط المفكر محمد بن بركة حيث أطر المرحوم العديد من البرامج التلفزيونية التي كانت تبث في التلفزيون العمومي الجزائري بشكل دوري، وتضاعفت جهوده في ظل الأزمة الأمنية التي مرت بها الجزائر محاولا الحفاظ على الهوية الدينية الجزائرية وكذا الإسلام المغاربي في ظل الهجوم الكبير للثقافات الدينية الغربية آنذاك، كما شارك المرحوم في تأطير والتحضير للكثير من الملتقيات الوطنية والدولية داخل الجزائر.

شغل المفكر بن بركة الكثير من المناصب الأكاديمية داخل الجزائر وخارجها، حيث يعتبر المفكر "عضوا في الأكاديمية العالمية للتصوف بالقاهرة، كما أنه عضوا في الهيئة العلمية لمجلة البحوث والدراسات الصوفية بالقاهرة بجمهورية مصر العربية، كما يعتبر البروفيسور بن بركة عضوا مؤسسا للرابطة العالمية للتصوف بجاكرتا - إندونيسيا-، كما أن الراحل محمد بن بركة يعد عضوا مؤسسا كذلك للمركز العالمي للحوار الأديان بالدوحة - قطر- وقد تم اقتراح اسمه لرئاسة المرصد العالمي للتصوف ببغداد -العراق- وغيرها من المناصب الأكاديمية خارج الجزائر" (بريكة، 2016، صفحة 01).

أما في الجزائر فقد شغل البروفيسور العديد من المناصب السامية، إذ شغل منصب مستشار وزير التعليم العالي والبحث العلمي لسنوات عديدة، كما ترأس اللجنة العلمية لإصلاح برامج التعليم العالي في الجزائر سنة 1995م، ثم رئيس اللجنة العلمية لإصلاح برامج التعليم العالي في مجال العلوم الإسلامية، كما ترأس الراحل المجلس العلمي لكلية أصول الدين بجامعة الجزائر لعدة سنوات، هذا ويملك البروفيسور محمد بن بركة حضورا مكثفا في الكثير من الملتقيات الدولية والمحلية التي تعنى بالتصوف الإسلامي، هذه الإسهامات جعلته يحصل على صفة خبير دولي

في التصوف الإسلامي الأمر الذي قاده إلى تقديم محاضرات في التصوف في الكثير من الجامعات العالمية.

تحصل المفكر محمد بن بركة على الكثير من الجوائز الدولية وكذا المحلية ولعل أبرزها هي جائزة رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية للبحث العلمي سنة 2012م حيث تم تكريمه بوسام الشرف من طرف رئيس الجمهورية الجزائرية عبد العزيز بوتفليقة، كما حصل على درع جامعة الدول العربية للبحث المعرفي سنة 2014، وفي سنة 2016 تم تكريمه من طرف رئيس الجمهورية التونسية الراحل القايد السبسي بجائزة نظير جهوده في إرساء معالم الإسلام المغربي بالقصر الرئاسي، كما تم تكريمه سنة 2017 بجامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية نظرا لمؤلفاته العديدة في التعريف وتبسيط ماهية التصوف الإسلامي، توفي المرحوم محمد بن بركة يوم 20 جوان 2019 بالجزائر العاصمة بعد مرض عضال ألزمه الفراش لشهور قصيرة ودفن بمقبرة الزاوية البلقاندية الهبرية ببئر خادم بالجزائر.

2-1- الأسس المعرفية النظرية للتصوف الإسلامي عند محمد بن بركة:

ينطلق المفكر محمد بن بركة إلى أن التصوف في زمننا المعاصر يحتاج إلى إعادة ضبط ضمن إطار معرفي يتوافق مع الفلسفة المعاصرة، فأسس لذلك أسسا معرفية معاصرة للتصوف الإسلامي تنطلق من الجانب النظري من خلال محاولة تبسيط ماهية التصوف وشرح أسسه التي يركز عليها، وصولا إلى أركان الممارسة الفعلية للتصوف من خلال التطبيق الفعلي له عن طريق مدارس تربوية متعددة سميت تاريخيا بالطرق الصوفية.

هذه الأسس الابستمية المعاصرة للتصوف الإسلامي كانت المنهاج الرسمي لمادة التصوف الإسلامي في كليات الشريعة وكذا الفلسفة في الجزائر باعتبار أن الدكتور بن بركة أشرف هو وثلة من المفكرين الجزائريين على غرار رئيس جمعية العلماء المسلمين الحالي البروفيسور عبد الرزاق قسوم على إصلاح مناهج التعليم العالي سنة 1995، وبداية هذه الأسس يكون بالمقاربات التعريفية الوافية للتصوف من منظور محمد بن بركة.

2-2- الحد التعريفي:

يقدم الدكتور محمد بن بركة مقاربة تعريفية تحاول الإحاطة بماهية التصوف الإسلامي، حيث يقسم الحد التعريفي لماهية التصوف إلى شقين رئيسيين، حد اشتقاقي يركز فيه على الاشتقاق اللغوي لكلمة (تصوف) وحد ترادفي يحاول من خلاله الإشارة إلى مرادفات علم التصوف في المدونات المختلفة.

أ/ الحد الاشتقاقي:

نجد أن المفكر بن بركة وبعد عملية البحث قد وجد الكثير من الألفاظ الاشتقاقية للتصوف وقد تعددت الأقوال في اشتقاق التصوف لذلك، فالصوفية في اللغة جمع لكلمة صوفي

ومصدر الكلمة الفعل الخماسي تصوف يتصوف فهو متصوف، وقد سئل الشبلي لم سميت الصوفية بهذا الاسم فقال: هذا الاسم أطلقه عليهم واختلف في أصله ومصدر اشتقاقه، ولم ينته فيه الرأي بعد إلى نتيجة حاسمة" (محمود، 1988، صفحة 29)، "غير أن محمد بن بركة قد عدها في خمس اشتقاقات في مؤلفاته وهي:

- قول من قال إن التصوف من "الصوفة" لأن الصوفي مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير لها.
- أن التصوف من "صوفة القفا" لئنها ، فالصوفي هيّين لين .
- أنه من "الصِّفّة" إذ جملته اتصاف بالمحامد وترك الأوصاف المذمومة.
- أنه من الصفاء وصحيح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا فيه	***	جهلا وظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى	***	صافي فصوفي حتى سمي الصوفي

" (الفاسي، صفحة 24)

- صوفوس: وأول من قال بهذا أبو الريحان البيروني بأن صوف باليونانية الحكمة وبهذا سمي الفيلسوف فيلسوفا أي محب للحكمة، وأما في الإسلام فقد ذهب قوم إلى تسمية أنفسهم بالصوفية نسبة إلى الصفة "لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف" (الفاسي، صفحة 24)، حيث قال "وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا" (سورة الكهف، الآية 24).

وفي هذا لما سئل أبو علي الروذباري من الصوفي؟ قال: من لبس الصوف على الصفاء، وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه إلى القفا، وسلك منهاج المصطفى" (الكلاباذي، د.س، صفحة 18)، وقالت طائفة إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها، وقال قوم إنما سمو صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع همهم إليه، وقال قوم سمو بالصوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم، وأما من نسبهم إلى الصفة والصوف فإنه عبّر عن ظاهر أحوالهم ذلك أنهم قوم قد تركوا الدنيا وحزبوا عن الأوطان وهجروا الأخدان (الكلاباذي، د.س، صفحة 08)

ب /الحد الترادفي:

إن لعلم التصوف من منظور بن بركة ما يرادفه من جملة العلوم المعروفة فعلم التصوف يرادف:

علم التزكية: باعتبار أن موضوع التصوف هو تزكية النفس الإنساني، وتخليتها من شوائب الآداب وتحليتها بالخلق القويم المتبع الجاعل من سيد الوجود صلى الله عليه واله وسلم سبيلا في ذلك كما نجد في كثير من المؤلفات يعبر عن التصوف بـ "علم الذوق باعتبار أن التصوف قائم أساسا على الذوق" (بريكة، 2006، صفحة 25)

- علم الأخلاق: وذلك أن الغاية من التصوف الإسلامي هي تهذيب النفس وضبط الإرادة والزام الإنسان بالأخلاق الفاضلة، وهذا ما أشار إليه ابن القيم في مدارج السالكين قائلا "واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق (التفتزاني، د.س، صفحة 09) وعبر عنه الكتاني بقوله من زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء.

- علم الباطن: باعتباره يهتم بباطن الإنسان دون ظاهره، فنجد أن كبار أئمة التصوف لا يجدون حرجا في الحديث عن الباطن، حيث يرى غالبيتهم أن "علم الباطن هو علم أعمال الباطن في رأيه هو علم الباطن، وهو علم أهل التصوف (بريكة، 2006، صفحة 67).

- "علم الإحسان" (التفتزاني، د.س، صفحة 11): انطلاقا من التقسيم الكلاسيكي في علاقة المسلم مع الله إسلام فإيمان فإحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على أنه "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك" (صحيح مسلم، رقم الحديث 2762)، أي استحضر مراقبة الله في السلوك والقيم.

- علم السلوك: "يسعى التصوف بعلم السير أو السلوك لأن العبد يسلك فيه المقامات التي تؤهله إلى منازل المقربين وقد أكثر ابن الجوزية استخدام هذا المرادف في كتابه مدارج السالكين (التفتزاني، د.س، صفحة 11).

- علم الذوق: لقوله صلى الله عليه واله وسلم "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ" (أخرجه الإمام البخاري في باب "الإيمان"، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم 16). فالصوفي يعيش دائما حالة تذوق حلاوة الإيمان.

3 - الحد الاصطلاحي

يتوجه الراحل بن بركة بعدها إلى المتمعن في النص الصوفي ذلك أن للنص الصوفي يتميز بمصطلحات خاصة به، والاصطلاح هو اللفظة ذاتها التي اتفقت عليها طائفة معينة على وضعها، والمصطلح الصوفي هو تلك المفردات التي يستخدمها المتصوفة للتعبير عن تجاربهم الروحية، قد تأتي تارة بشكل بسيط وتارة بشكل متقابل تارة أخرى ومرة على شكل شطح ومرة يظهر المصطلح الصوفي بهيئة الرمز.

1-3- المصطلح الصوفي البسيط:

المصطلح البسيط يأتي على هيئة لفظ واحد له دلالة، ويمكننا هنا التعرّيج على نماذج هذا المصطلح وشرحها:

- الأبد: من مقتضيات الوجود الوجودي الذاتي هو للحق سبحانه وتعالى، والأبد والأبدية نعتان لما لا نهاية له.

- الأبدال: جمع بدل وهم كما صح في الحديث "أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله رجلاً مكانه (الطبراني، صفحة 39)، والأبدال والبلاء من رجال المراتب عند الصوفية.

- الإشارة: أخبار الغير عن المراد بغير عبارة اللسان

- الإلهام: يقع في الروح بطريقة الفيض وهو واحد من طرق العلم الوهبي وهو غير الكسبي الذي عماده الجهد.

- الحجاب: هو ما يحول بين المراد ومراده أي العبد وربّه، وينشأ من ظلمات المعاصي والإعجاب بالأعمال وكل ما حال بينك وبين مطلوبك فهي حجاب" (بريكة، 2006، صفحة 221)

- اليقين: وهو رؤية العيان بقوة الإيمان وهو ثلاث درجات:

علم اليقين وهو أدناها

حق اليقين وهو أوسطها

عين القين وهو أعلاها (بريكة، 2016، صفحة 229)

2-3- المصطلح الصوفي المتقابل "المركب":

يشير الدكتور بن بريكة إلى استخدام منهج المقابلة لتقريب معاني بعض المصطلحات التي تفهم بأضدادها والحق أن مقابلة المصطلحات يعين على الولوج إلى بعض الأسرار الإستيمية والسيميولوجية الصوفية كما يتبين مما يلي:

- الإشارة والعبارة: العبارة هي ظاهرة اللفظ والإشارة هي باطنه.

- التحلي والتخلي: يكون التحلي بجملة الفضائل بعد التخلي عن جملة الرذائل.

- الجمال والجلال: الجمال هو نعوت الرحمة الإلهية والجلال هو نعوت القهر الإلهي.

- الحال والمقام: المقام هو المنزل التي يدركها العبد بالجد في السلوك والحال معنى يرد على القلب من غير تعمد. ولا اجتلاب ولا اكتساب، فالمقام ثمرة الكسب (بريكة، 2006، صفحة 232_233).

- القبض والبسط: وهما حالتان بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء، فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنس، والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستألف (حمدي، د.س، صفحة 93)

- الفناء والبقاء: أشار القوم إلى الفناء إلى سقوط الأوصاف المنصوفة، وأشاروا بالبقاء، إلى قيام الأوصاف المحمودة به (حمدي، د.س، صفحة 102)

- الخوف والرجاء: حالان لا يعتدل سلوك الصوفي إلا بالوقوف بينهما فلا هو خائف إلى حد القنوط، ولا هو راج إلى حد ترك العمل. (بريكة، الرياض الأحمديّة النضرة من الدروس المحمدية العشرة، 2016، صفحة 332)

3_3 الشطح:

إن الشطح عبارة عن كلام يوهم السامع أن صاحبه قد خرج من الدين وهو مجموعة من العبارات يدل ظاهراً على الكفر وتجعل صاحبها متلفظاً من الناحية اللغوية المحضّة بما يخالف المألوف من الكلام وأيضاً المفهوم من المعتقد الديني.

وقد عرف ابن عربي الشطح بأنه "كلمة دعوى بحق تفصح عن مرتبته -أي الشطح- التي أعطاه الله من المكانة عنده أفصح بها من غير أمر إلي، ثم أضاف غير بعيد: والشطح زلة المحققين". ولم يعرف ابن عربي رغم تعمقه في المفاهيم العرفانية أنه تلفظ بشطحة أو شطحات، وهو القائل: "وكل من شطح فعن عقله شطح"، ولم يعرف عن ابن عربي رغم تعمقه للمفاهيم العرفانية أنه تلفظ بشطحة أو شطحات وهو القائل "وكل من شطح فعن غفلة شطح"، وقد اقترن الشطح في كثير من الأحيان بالدعوى لهذا حذر منه أكابر الصوفية، ويؤكد الغزالي في الإحياء أن "الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر راقية وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل. (بريكة، 2006، صفحة 200).

ويرى عبد الرحمان بدوي: أن الشطح الحقيقي إنما ظهر مع أبي يزيد البسطامي حيث يقول "إننا نجد الشطح الحقيقي لأول مرة عند أبي زيد البسطامي في القرن الثالث للهجرة فعنده يتخذ لصورة الأصلية لهذه الظاهرة (بدوي، د.س، صفحة 27).

والشطح في تقدير الهجويري صاحب كشف المحجوب ويمكن بعد التتبع لمصدر الصوفية أخلاقية أو عرفانية أن هناك نوعان من الشطح ناتج عن السكر الصوفي وآخر نتاج الفناء الصوفي، الأول تغلب عليه "الرعونة" بوصف ابن عربي وصاحب المعجم الصوفي والثاني يصير بطريقة إنشائية كقراءة آية أو حديث (بريكة، 2006، صفحة 202)، أما في كتاب معجم التعريفات فالشطح عبارة عن "كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى وهو من زلات المحققين فانه دعوى بحق يفضح بها العارف من غير إذن إلهي بطريق يشعرون بالنباهة" (الجرجاني، د.س، صفحة 109) وهناك من يرى خلاف ذلك ويرى بأن الشطحات ظهرت مع رابعة العدوية ويبرر لذلك ببعض مناجاتها لربها نثراً أو شعراً مثل قولها:

"إني جعلتك في الفؤاد محدثي ** وأبحث جسسي من أرادا جلوسي

فالجسم مني للجليل مؤنس *** وحبيب عقلي في الفؤاد أنيسي

(الرازق، 1984، صفحة 128)

هو "لون من ألوان الرياء الباطل أو الشرك الخفي" قال في تعريفه للشطح "وهذه ترهات أرباب اللسان في وقت عبادة العبارة (بريكة، 2016، صفحة 201).

3_4 الرمز:

يشير المفكر بن بريكة أن علم التصوف يشغل بلغة خاصة تعرف بلغة الذوق والرمز، وهو المصطلح الذي استخدمه الصوفية في كلامهم للتعبير عن عوالمهم الخاصة بهم، وذلك لأن الأحوال والمقامات الذوقية تعجز اللغة في غالب الأحيان عن احتوائها فلم يجدوا ملجأ آخر غير التعبير عن ذلك بوسائل أخرى شعرا أو نثرا.

فالرمز إنما هو نتاج الإشكال الرئيسي الذي طرح سابقا والذي قوامه: هل تستطيع اللغة أن تكون وعاءاً للذوق؟ الجواب بكل بساطة أن الذوق الذي هو جوهر العلاقة بين العبد وربّه ما قد يحيلنا إلى إشكال من نوع آخر مفاده: بأي وسع يستطيع الإنسان أن يتكفل بنقل هذه الحقيقة الذاتية بقالب موضوعي، هذا ما يقودنا إلى التخلص من المفهوم السائد بأن اللغة مرآة الفكر، ومن هنا يمكن للفكر أن يكون له لغة رمزية أو أكثر خلاف اللغة الإنسانية، والدين كنسق من الرمز يرسخ لدى الإنسان حالات وجدانية ودوافع قوية وذلك من خلال تشكيل رؤيته الكلية عن الوجود والتسامي به إلى عالم الروحانيات والقيم والمثل العليا (بريكة، 2006، صفحة 77)

والأسرار الصوفية أدق وأخطر من أن توجه لعامة الناس صريحة واضحة من أجل ذلك كان استعمال الرمز أحد هذه الحلول للإشكالية الكبيرة التي واجهتها الظاهرة الصوفية، والرمز عند المتصوفة هو التلميح إلى ما يريدون قوله وفي هذا يقول سيدنا القشيري "وهذه الطائفة يستعملون ألفاظا بينهم قصدوا بها الكشف، لتكون معاني ألفاظهم مستلزمة على الأجانب غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها" فالرمز إذن أكثر طريقة للتعبير عند المتصوفة حاولوا من خلالها محاكاة واهمة ونقل تصوراتهم عن الله ثم الكون والإنسان ووصف تلك العلاقة، وفي ذلك يقول ابن عربي :

ألا إن الرموز دليل صدق *** على المعنى المغيب في الفؤاد

وأن العالمين له رموز *** وألغاز ليدعى بالعباد

ولكن الغفور أقام سترًا *** ليسعدنا على رغم الأعادي

والمعروف أن التصوف يشغل مقام الإحسان في الدين، هذا ما يجعلنا نطرح تساؤلا عن أي لغة عبر بها المتصوفة عن هذا المقام والذي يرتبط أساسا بالذوق؟

فالمتمعن في النص الصوفي يلاحظ أن المتصوفة يستعملون لغة خاصة في التعبير عن مواجيدهم، تمتاز بالتعقيد كصفة لها، ويعتبر البعض أن استعمال الرمز في اللغة الصوفية يعود أساسا إلى تستر المتصوفة على أحوالهم. فهذا الإمام القشيري وهو علم التصوف والذي تعتبر رسالته

مرجعا لا يستغنى عنه باحث في هذا العلم ، يضع بابا بعنوان "في تفسير ألفاظ الطائفة وبيان ما يشكل منها" يقول فيها عن الصوفية: إنهم يستعملون ألفاظا فيما بينهم ، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم والتستر على من خالفهم في طريقتهم (بريكة، 2006، صفحة 84)، وهذا هو الدور الذي يلعبه الرمز في النص الصوفي.

4- حد الانتقال من العبارة إلى الإشارة:

يؤكد المرحوم بن بركة إلى أن اللفظة سرعان ما تتحول عند الصوفي بعد إقرار وجهها الظاهر إلى الإشارة، فيستنتج منها معاني بعيدة المرمى على نسق يتميز بالمسحة الجمالية التي لا يستطيع متابعتها أن يتجرد من صورتها البيانية دون أن يعدم التعاطف معها، يقول القشيري مثلا شارحا معنى اللعب شرحا لم يسبق إليه بعد أن يذكر الآية "هل هم في شك يلعبون" (سورة الدخان، الآية 09)، إن اللعب فعل يجري على غير ترتيب شبيه باللعب الذي يسيل لا على نظام مخصوص فوصف المنافق باللعب تصويرا لتردده وتحييره وشكه في عقيدته، فقد احتفظ بالمعنى العقدي للنفاق ولكنه حول العبارة "اللعب" إلى إشارة استوحى منها صورة باطنية لا تصادم توحيد المسلم، كما أنه يفسر عبارة التسبيح المفهوم معناها عند كل مسلم لأنها السباحة في بحار التوحيد بلا شاطئ" فبعد ما حصلوا فيها فلا خروج ولا براح (بريكة، 2006، صفحة 38)

والخطاب الصوفي له جاذبية خاصة بأنماطه المختلفة، إذ يحتوي ثروة أدبية جمّة، فلمهم معجمهم الخاص وتعاييرهم الخاصة، وهذه التعابير تمثل مذهبه في الأدب، ولأن اللغة قصرت عن إدراك المعنى التام والكامل عند المتصوفة، فقد لجأوا مضطرين إلى التلميح والإشارة وفي هذا يقول النفري "كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة (النفر، د.س، صفحة 51)

والإشارة هي الأخبار من غير استعانة بتعبير اللسان وقيل ما يخفى على المتكلم كشفه، والإشارة تكون آياته عما يتضمنه الوجد، وعلم الصوفية علم إشارة، فإذا صار علم عبارة حفي، وهو علم إشارات لان مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة منها على التحقيق.

والإشاريون هم المنشغلون بعلم الإشارة من علوم الصوفية التي تسعى علوم الأحوال ومنها علوم المشاهدات والمكاشفات وقد انفردت بها الصوفية ، ووصفها بأنها علوم إشارة لأن مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن للعبارة عنها، بل تعرف بالمنازلات والمواجيد ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال وحل تلك المقامات" (حنفي، د.س، صفحة 639)، ويمكن أن نأخذ عينات واضحة عن الانتقال من العبارة إلى الإشارة في التفسير ففي تفسير القشيري الموسوم بـ "لطائف الإشارات" يقول عند قوله تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ" (سورة البقرة، الآية 21)، العبارة موافقة الأمر وهي است فراغ الطاقة في مطالبات تحقيق الغيب ويدخل فيه التوحيد بالقلب والتجريد بالسر والتقريب بالقصد والخضوع بالنفس والاستسلام للحكم.

وفي قوله تعالى "صُمْ بُكُمْ عُنِّي فَهُمْ لَا يَزِجُوهُمْ" (سورة البقرة، الآية 18)، يرى أنهم "صم عن سماع الحق بأذان قلوبهم، بكم عن مناجاة الحق باللسنة أسرارهم، عمي عن شهود جريان المقادير بعيون بصائرهم". (بريكة، 2016، صفحة 93).

ويعتبر حد الانتقال من العبارة إلى الإشارة من أهم الحدود التي تميز الخطاب الصوفي قديما وحديثا لما يتضمنه من عمق في الطرح ولطافة في سرد الإشارات التي تتضمن جل العبارات.

1-4- الحد النفسي:

هو تدفق نفسي أو حسي يمكن من خلاله فهم نصوص الصوفية، كما أنه جملة النفس الذي يخاطب به المتصوف غيره، وهو جملة النصوص الناتجة عنه، فتختلف النصوص باختلاف النفس، كل حسب ما فتح الله عليه. ويمكن لنفس المتصوف أن يترجم في شكل تفاسير إشارة لذلك يختلف تفسير الآية الواحدة من متصوف لآخر فنلاحظ تفسير ابن عجيبة شارح الحكم العطائية في قوله تعالى "والراسخون في العلم" بأن الراسخون هم الذين رسخت أحوالهم في غيب الغيب، في سر الستر، فعرفهم ما عرفهم وخاضوا في بحار العلوم بالفهم لطلب الزيادة فانكشف لهم من ذخائر خزائن الغيب تحت كل حرف من كتاب الله وآية من كلام الله عجائب الإدراكات الوهبية فنطقوا بالحكمة البالغة (بريكة، 2016، صفحة 96).

ويمكن أيضا لدارس التصوف فهم النصوص الصوفية والتمييز بينها من خلاله حسه النفسي وحده فلما يعرض عليه نص ما يمكن له ترجيحه من خلال قراءاته السابقة المكثفة لمن يكون عرفانيا كان أو أخلاقيا، وتختلف التفاسير باختلاف النفس ويمكن للمتخصصين التمييز بين النفس عند ابن عربي عن النفس الذي كتب به الحلاج أو البسطامي فلكل إشارته التي تختلف من علم لآخر.

فالقارئ المدقق في التراث الصوفي الزخم يتبين له مع كثرة مطالعته تعدد الأنفس في الخطاب الصوفي، فيسهل له بعد التدقيق التفريق بين جملة ما يكتبه الأعلام، فهذا الخطاب مستوحى من نفس الإمام الغزالي، والآخر مستوحى من نفس شيخ الطائفة الجنيد وهكذا، عندما تقرأ مثلا عبارة "من جهل المرید أن یسیء الأدب فتؤخر عنه العقوبة فيقول: لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد (بريكة، 2016، صفحة 312)، فالنفس واضح أنها من صاحب الحكم سيدي ابن عطاء الله السكندري، وعند قراءة عبارة "أشرفت على ميدان اللبسية فما زلت أطيّر فيه عشر سنسن حتى صرت من ليس في ليس بليس" (بدوي، د.س، صفحة 28)، عبارة عرفانية من نفس خاص هو نفس العارف بالله أبي اليزيد البسطامي، وهما نموذجات فقط، فلكل متصوف نفسه الذي إن اطلعت على نص من النصوص أدركت صاحبه.

2-4- مدارس التصوف عند المفكر محمد بن بركة:

إن التأصيل الابستيمي للتصوف لدى المرحوم محمد بن بركة أحال إلى بروز نمطين رئيسيين من مدارس الصوفية كل مدرسة لها من الخصائص والمرتكزات ما يميزها عن الأخرى، نسق من المعارف سمي بالمدرسة الأخلاقية ونسق آخر داخل بوتقة التصوف عرف بالمدرسة العرفانية، كل مدرسة ودورها وأعلامها وكذا مميزاتها الخاصة

في الجزء الأول من هذا المبحث نسلط الضوء على المدرسة الأخلاقية في محاولة لضبط أسسها العامة وكذا الخصائص والمميزات التي يميز نمطها وفي الجزء الأخير نعرض على المدرسة العرفانية مركزين على أهم الخصائص التي تقوم عليها هذه المدرسة وكذا أعلامها، وأهم آليات الاختلاف بين المدرستين.

بعد التطرق إلى الحدود الابستيمية في الجزء الأول تبين أن التصوف يُعني أساسا بباب الأخلاق لهذا برزت بادئ ذي بدء مدرسة صوفية أخلاقية تشتغل على تقويم سلوك الفرد، ويمكن اعتبار حجة الإسلام أبو حامد الغزالي.

والحارث المحاسبي والجنيد البغدادي أهممن نظر لهذه المدرسة أخلاقيا، إذ تركز هذه المدرسة كما يبرز أبو حامد الغزالي على العلم والعمل، وأن أساسها هو قطع عقبات النفس والتزهد عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يوصل إلى تخلية القلب من غير الله تعالى وتحليلته بذكره.

كما يمتاز خطاب هذه المدرسة بالحث على العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله، فأسلوب المدرسة الأخلاقية يمتاز بسهولة النصوص ووضوحها بحيث تخاطب الوجدان مباشرة كما أنها خالية من التعقيد والذي سنجده في المدرسة العرفانية.

ويمكن اعتبار مؤلف ابن عطاء الله السكندري الموسوم بالحكم العطائية من أهم تمظهرات المدرسة الأخلاقية، ذلك انه يحوي جملة من الحكم الأخلاقية التي تقوّم السلوك لدى المسلم، إذ تمتاز هذه الحكم بسهولة لغتها والقدرة على استيعابها، والمتمعن فيها بشكل سلس وسهل.

المدرسة الأخلاقية:

عندما نتطرق إلى تعريفات التصوف المختلفة نجد أن أغلبها يرادف معنى الخلق، حتى قيل بأن "التصوف هو خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء" وقال ابن القيم في مدارج السالكين " واجتمعت كلمة الناطقين على أن التصوف هو الخلق"، فكل هذه التعريفات وغيرها أثبتت أن منشأ التصوف كان أخلاقيا بحث، ومن أجل ذلك ينطلق المرحوم بن بركة من أن المدرسة الأخلاقية هي مدرسة لها أسسها ولها منهجها داخل النسق الصوفي، حيث تمتاز هذه المدرسة بسهولة لغتها والقدرة على استيعابها، والمتمعن فيها بشكل سلس وسهل، وأبرز من مثل

هذه المدرسة أويس القرني، والحسن البصري والسري السقطي، والجنيد السالك البغدادي، وذا النون المصري، وأبي حامد الغزالي والحارث المحاسبي.

فالأخلاق عند كبار المتصوفة كالجنييد البغدادي في روح التصوف ولبه، وقد سئل عن معنى التصوف ذات مرة فأجاب: "هو اجتناب كل خلق دنيء واستعمال كل خلق سني، وأن تعمل لله ثم لا ترى أنك عملت" (الميداني، د، س، صفحة 43). ولعل أهم مكارم الأخلاق التي ركز عليها المتصوفة هي التواضع والحياء والمروءة والفتوة والقناعة.

والمصطلح في هذه المدرسة يأتي بشكل بسيط مباشر، حيث يمكن فهم نصوص ما كتبه كبار متصوفة هذا المسلك، كما تتميز باشتغالها بالعناصر الأساسية للتوجيه الأخلاقي وترتكز على أسس ثلاثة:

- اعتناؤها بالنفس البشرية
 - اشتغالها بالتكامل بين الظاهر والباطن
 - انسجامها مع السنة الفعلية لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالمدرسة الأخلاقية بهذا هي مدرسة عنيت بالجانب السلوكي للفرد وهي أول المدارس الصوفية زمنياً ثم تليها المدرسة العرفانية والتي تنطرق إليها في العنصر الثاني.
- المدرسة العرفانية:

يشير محمد بن بركة إلى المدرسة الثانية في التصوف الإسلامي والتي يشتق اسمها من ماهيتها، فللتعرف أكثر على خصائص هذه المدرسة ينبغي التعرّيج أولاً على ضبط مفهوم "العرفان" فالعرفاني gnostique ويسمى أحياناً غنوصياً اشتقاقاً من الكلمة الأعجمية هذه، وهو التصوف الذي كُتب بلغة معقدة وبرمزية يصعب معها فهم النصوص وأقوال أصحابها، والتي تعبر عن معرفة حاصلة عن طريق المشاهدة القلبية، والمدرسة العرفانية في التصوف تأتي بعد المدرسة الأخلاقية زمنياً، فعجز اللغة عن احتواء الذوق حتم بروز جيل من المتصوفة يعبر عما يجود في خواطرهم تارة بالإشارة وتارة بالرمز حتى تبقى هذه المعرفة ضمن نطاقهم فقط.

والمدرسة العرفانية في التصوف تأتي نصوصها معقدة جداً كما هو الحال في نصوص ابن عربي، ابن سبعين، والجيلي وغيرهم لذلك نجد أنفسنا أمام مشكلة معرفية عميقة مفادها أننا لا نفهم كلاماً كتب بلسان عربي مبين، فقد يتبلور نص داخل سياق هذه المدرسة نتيجة شطحات، فيعتبر ذلك النص كلاماً صدر عن الصوفي تحت وطأة الأحوال التي يعانها وبالتالي يصعب تفكيك النص وفهمه باعتبار عدم إدراك تلك الحالة التي كان عليها المتصوف لحظة إبرازه للنص.

ولأن الصوفية قد تعتمد التعقيد اللغوي للإبقاء لذلك قد يساء فهمهم وبالتالي تكثر من حولهم التصنيفات السلبية والتي دفع فيها الصوفية الكثير بل أن هناك من دفع حياته لذلك أبي

منصور الحلاج، لذا يذكر ابن عربي في "كتاب الفناء" من جملة الرسائل الإلهية أن الصوفية "سائرون للإسرار في ألفاظ اصطلاحوا عليها".

ويعلل ابن عربي نفسه في رسالة "منزلة القطب" صعوبة اللغة في المدرسة العرفانية فيقول بأن أكثر العقول انما تعرف الأشياء بالحدود الرسمية واللفظية لان الحدود الذاتية عسيرة المنال، ويقول الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال" أن الصوفية في ترقيمهم الروحي واقعون تحت حرج اللفظ الذي لا يفي بوصف ذرة من أحوالهم فهم سائرون من مشاهدة الصور والأمثال، ويقتضي على باحث يعنى بالمنهج العلمي الوقوف عند بعض هذه النصوص رغبة في استجلاء الحقيقة لكثرة ملحق التصوف الإسلامي بسببها.

ومن أهم نصوص التصوف العرفاني ديوان الحسين بن منصور الحلاج، وكتاب منطق الطير لفريد الدين العطار، والمثنوي وفيه ما فيه لجلال الدين الرومي وكتابات الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي وبالأخص الفتوحات المكية وفصوص الحكم وترجمان الأشواق وحكمة الإشراق للسهروردي.

تعتمد هذه المدرسة كما أسلفنا على لغة في غاية التعقيد ولا شك أن الغرض من هذه اللغة هو تقريب الفهم للصوفية أنفسهم، لذلك خص الدكتور محمد بن بركة الجزائري في موسوعة الحبيب للدراسات الصوفية فصلا عن لغة المتصوفة بين لغة الحكمة التي تميز المدرسة الأخلاقية واللغة السريانية التي تميز كثيرا لغة المدرسة العرفانية والتي كتبت بحروف عربية يصعب كثيرا تفكيك معانيها، وان كانت جميع أحرفها عربية، مشيرا إلى انه لا يمكن إغفال العلاقة الموجودة بين السريانية والرمز والخلاصة التي وصل إليها الدكتور بشأن السريانية التي تشكل كثيرا من نصوص المدرسة العرفانية على أنها لغة الأرواح في اعتقاد الصوفية بل أصل اللغات جميعا وبها يتخاطب أهل الفتح الكبير، فالسريانية أصل اللغات بأسرها واللغات طائفة عليها.

وكخروج من هذا الجزء يمكن الاستنتاج أن المفكر محمد بن بركة أشار الى تباين بين مدرستين في التصوف الإسلامي، مدرسة أخلاقية لها خصائصها ومميزاتها ولعل اشتغالها على الجانب السلوكي الأخلاقي والتنظير للأدب الراقي من أهم تلك المميزات، ومدرسة عرفانية تجعل من البعد العرفاني سبيلا لها، وهي بدورها لها خصائص ومميزات تميزها عن غيرها، ولعل صعوبة اللغة والنصوص أهم ميزة يمكن لفت الانتباه في هذه المدرسة.

5- خاتمة

تأسيا على ما سبق يمكننا القوم بأن المفكر محمد بن بركة يعد واحدا من رجال الفكر في تاريخ الجزائر المعاصر، وواحد من الذين ناضلوا من أجل الحفاظ على أركان المرجعية الدينية والفكرية في هذا الوطن خاصة إبان العشرية الحمراء (كما يسميها هو) والتي كانت مليئة بالدم، حيث أبي أن يغادر البلد كما فعله الكثيرون رغم أن كل الظروف كانت متاحة أمامه للهجرة.

فبعد انقشاع ضباب الأزمة الأمنية ضاعف المرحوم نشاطه الفكري حاملا رسالة الحب والخير كمنهج للجميع، مؤمنا بأن الجزائر بلد يؤمن ثقافة العيش المشترك ويحفظ سنة الاختلاف في إطارها الأخلاقي القيمي واضعا البيت الشعري لسيدي عبد الرحمان الثعالبي شعارا له والذي قوامه:

إن الجزائر في أحوالها عجب *** فلا يدوم بها للناس مكروه

ما حل عسر أو ضاق متسع *** إلا ولطف من الله يتلوه

حيث ركز الراحل في أبحاثه على علم التصوف هو ذلك الشق المرتبط بقيم الإنسان وسلوكه، باعتبار أن هذا الحقل المعرفي يتجاوز مجال التفكير والتنظير إلى نطاق الممارسة الواقعية والاجتماعية، فمن خلال الحدود الابستمية للتصوف توصلنا إلى أن هذا النسق من المعارف له ما يبرر تناوله كعلم إسلامي مستقل بذاته بعيدا عن القراءات التي تجعل منه تابعا لما قبله من التجارب المعرفية المشابهة والتي ميزت الحضارة الشرقية القديمة وكذا الأديان التوحيدية المعروفة، وعليه كان لعلم التصوف أهمية بالغة في بنية المنظومة المعرفية الإسلامية بشكل عام، هذا الجانب الذي عني بأهم مواضيع الدين وهو موضوع الإحسان أو الجانب الأكسيولوجي من المنظومة المعرفية الدينية بالتجديد من خلال تجديد المتغيرات من القيم والتي تتلاءم مع الزمانية والمكانية البشرية، وكذا بالحفاظ على الثابت من هذه القيم والتي تحافظ من خلالها على تميز هذا العلم حتى لا ينصهر داخل أنساق معرفية أخرى الأمر الذي قد يرهن خصوصيته التي تحدد ذاته، خصوصية قد يستمد منها كذلك من تلك الأنماط اللغوية الخاصة التي تميزه في شقها الأخلاقي وكذا العرفاني وهي المجال الذي يحتاج إلى عميق بحث في المستقبل.

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية

1. أخرجه الإمام البخاري في باب "الإيمان"، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم 16. (بلا تاريخ).
2. أبو الوفا التفتازاني. (د.س). مدخل إلى التصوف الإسلامي. القاهرة: دار الثقافة.
3. أبو بكر الكلاباذي. (د.س). التعرف لمذهب أهل التصوف. القاهرة: مكتبة الخانجي.
4. أحمد الطبراني. (بلا تاريخ). المعجم الأوسط (المجلد 5). السعودية: دار الحرمين للطباعة والنشر.
5. أيمن حمدي. (د.س). قاموس المصطلحات الصوفية. القاهرة: دار قباء للنشر والتوزيع.
6. ذياب البدانية. (2012). التوثيق العلمي دليل النشر العلمي. عمان الاردن: دار المناهج للنشر والتوزيع.
7. زروق الفاسي. (بلا تاريخ). قواعد التصوف، تحقيق عبد المجيد الخيالي. لبنان: دار الكتب العلمية.
8. سورة البقرة، الآية 18. (بلا تاريخ).
9. سورة البقرة، الآية 21. (بلا تاريخ).

10. سورة الدخان، الآية 09. (بلا تاريخ).
11. سورة الكهف، الآية 24. (بلا تاريخ).
12. صحيح مسلم، رقم الحديث 2762. (بلا تاريخ).
13. عبد الحليم محمود. (1988). قضية التصوف المنقذ من الضلال. القاهرة: دار المعارف.
14. عبد الرحمان بدوي. (د.س). شطحات الصوفية. الكويت: وكالة المطبوعات 17.
15. عبد الرحمان حبنكة الميداني. (د.س). الأخلاق الإسلامية وأسسها. دمشق: دار القلم.
16. عبد السلام الجعافرة. (2013). التربية والتعليم بين الماضي والحاضر. عمان الاردن: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.
17. عبد المنعم حنفي. (د.س). الموسوعة الصوفية . القاهرة: دار الرشاد.
18. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني. (د.س). معجم التعريفات. القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير.
19. ماسينيون ومصطفى عبد الرازق. (1984). التصوف . بيروت: دار الكتاب اللبناني.
20. محمد بن بركة. (2006). التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان. الجزائر: دار المتون للنشر والطباعة.
21. محمد بن بركة. (2016). الرياض الأحمدية النظرة من الدروس المحمدية العشرة. الجزائر: منشورات الزاوية البقائدية الهيرية.
22. محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفر. (د.س). كتاب المواقف ويليهِ كتاب المخاطبات. مكتبة المثنى: القاهرة.